

نماذج من دكات المبلغ بجوامع الجزائر في العهد العثماني

- دراسة وصفية تحليلية -

أ.د. / خيرة بن بلة

معهد الآثار - جامعة الجزائر 2 -

1. تعريف دكة المبلغ.

دكة المبلغ هي ذلك البناء المرتفع المسطح أعلاه للجلوس عليه، وهي تجمع على دكك، والدكان من البناء مشتق من الدكة، بسبب ارتفاع سطح أرضه عن مستوى الشارع، كما يطلق على الدكة اسم دكان أيضا، والدكة أصلا معربة من الفارسية، وقد ساد إطلاق اسم الدكة المبنية بالمسطبة.¹

وهي تكون إما خشبية، أو حجرية، أو رخامية، وتكون عالية، يحيط بها درابزين أو ذروة تتكون من شقق مفرغة تفصلها قوائم رأسية تعلوها بابات أو رمامين ذات شكل رماني، أو كمثري، وغالبا ما كانت ترتكز على أربعة أعمدة خشبية أو رخامية أو حجرية.²

أما من حيث الوظيفة فهي عبارة عن منصة يجلس عليها القارئ لتلاوة القرآن الكريم، خاصة قبل صلاة الجمعة، كما أنها تستعمل لترديد تكبيرات الإمام، ويصعد إليها عن طريق سلم خشبي³ وهي توجد في رواق القبلة، في المساجد ذات الأروقة، أو في نهاية إيوان القبلة في المدارس، وتقع على محور المحراب⁴ ويجلس عليها المؤذنون وقت صلاة الجمعة والأعياد، لإلقاء الأذان الثاني داخل المسجد، وأحيانا نجد أكثر من دكة وأكثر من مبلغ في المسجد الواحد.⁵

وتتسع الدكة لمقرئ واحد أو لثلاثة مقرئين، ومن أجمل الأمثلة على دكة المقرئ دكة جامع ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وهي من الرخام ومرفوعة على أعمدة وترتفع على الأرض بحوالي ثلاثة أمتار، فتسمح بالمرور من تحتها.⁶

¹ سامي محمد نوار، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص70.

² عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص109.

³ أحمد عبد المعطي الجالي، عمارة المسجد وتطورها في العالم الإسلامي، دار الكتب القومية، القاهرة، 1990، ص258.

⁴ صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة، ص45، 46.

⁵ غازي رجب، وظيفة العمارة العربية الإسلامية: استجابة الشكل إلى المضمون الفن العربي الإسلامي، الجزء الأول، المداخل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1994، ص131.

⁶ المعهد العربي لإنماء المدن، المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد - أنواعها، وخدماتها، وعناصرها المعمارية، ومعاييرها التخطيطية، الرياض، 1410 هـ، ص206.

وفي العصر العثماني وجدت الدكة في الحائط المقابل للمحراب وعلى ارتفاع كبير، ويمكن الوصول إليها عن طريق سلم في هذا الحائط، وتعمل من الخشب، وتحمل إما على أعمدة أو على كوابيل خشبية.⁷

2. الدراسة الوصفية.

احتوت جوامع الجزائر في العهد العثماني على أربعة نماذج من أجمل الدكات في هذه الفترة، لكونها تتميز بالعديد من الخصائص الفنية والتقنية والمتعلقة بالمواد المستعملة وتقنيات الصناعة والزخرفة وكذا أشكال الدرابزينات وقوائمها والأعمدة الحاملة ونتيجاتها. وفيما يلي دراسة وصفية وتحليلية لهذه النماذج:

1.2. دكة المبلغ بجامع صفر بمدينة الجزائر (1534 م).

■ المقاسات:

- طول: 3.90 م. عرض: 3.08 م.
- عمق الحنية: 36 سم.
- ارتفاع الدرابزين: 65 سم.
- ارتفاع الدرابزين الخلفي: 65 سم + 60 سم
- العمود:

- البدن: ارتفاع: 1.58 سم. قطر: 16 سم.
- التاج: ارتفاع: 29 سم. قطر: 22 سم.

■ الوصف:

تتنصب هذه الدكة في مؤخرة المسجد على مستوى نهاية المربع الذي أسفل القبة المركزية، تحملها أعمدة خشبية بتيجان ذات زخارف تتمثل في بروزات على هيئة لفائف بارزة نحو الخارج وعددها أربعة، وتتوسط الضلع المقابل لجدار القبلة حنية صغيرة نصف دائرية على هيئة محراب، ويتخذ درابزينها نفس شكل درابزين السدة وهو يتكون من قوائم تتخللها عقود صغيرة مسننة في فتحها على شكل رمحي نوعا ما، ويقوم هذا الدرابزين على كابولي خشبي من كل الأضلاع الأربعة. (صورة 1)

⁷ صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص 46.



صورة 1 / دكة المبلغ بجامع صفر

2.2. دكة المبلغ بالجامع الجديد بمدينة الجزائر. (1660 م)

■ المقاسات:

- طول الضلع: 3.45 م x 3.45 م.
- ارتفاع الدرابزين: 72 سم.
- الكابولي: إرتفاع: 60 سم. عرض: 31 سم.
- العمود:
- القاعدة: إرتفاع: 32 سم. طول الضلع: 32 سم.
- البدن: إرتفاع: 1.22 م. قطر: 22 سم.
- التاج: إرتفاع: 25 سم. قطر: 25 سم.
- الحنية: عمق: 45 سم. عرض: 78 سم.

■ الوصف:

يتم الصعود إلى هذه الدكة بواسطة مدخل ودرج المنبر الخشبي، وهي عبارة عن سطح خشبي يحيط به درابزين بقوائم رشيقة توصل مجموعة عقود صغيرة من النوع المدبب، وتقوم الدكة على أربعة أعمدة رخامية ببدن نصفه العلوي حلزوني والنصف الأسفل مثنى والنتيجان تميل إلى الطراز الأيوني، والقاعدة التي تحمل هذه الأعمدة من النوع المربع، وبين سطح الدكة وبين الأعمدة يوجد رفرف بكوابيل صغيرة على امتداد الأربعة أضلاع للدكة، كما يلاحظ وجود تجويفة تشبه المحراب في الجهة المقابلة لجدار القبلة. (صورة 2)



صورة 2 / دكة المبلغ بالجامع الجديد

3.2. دكة المبلغ بجامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة. (1776 م).

■ المقاسات:

- طول: 2.90 م. عرض 2.70 م.
- الدرابزين: ارتفاع: 63.5 سم عرض: 2.90 م سمك: 04.5 سم أسفل و 07 سم أعلى.
- الأعمدة:
- القاعدة الرخامية: ارتفاع: 11 سم طول الضلع: 12 سم و 11.5 سم و 10 سم و 08.5 سم.
- القاعدة الحجرية: ارتفاع: 25 سم. طول الضلع: 12 سم.
- البدن: ارتفاع: 1.97 م. قطر: 15 سم.
- التاج: ارتفاع: 20.5 سم. قطر: 12.5 سم.
- المربع الذي يعلو التاج: طول الضلع: 21 سم و 25 سم.
- الحنية: عمق: 41 سم. عرض: 81 سم. طول ضلع التجويف: 28.5 سم.
- أرضية الدكة: تمثل جزءا من السقف طول: 2.70 م. عرض: 2.30 م.
- الكوابيل التي بهذا الجزء: طول: 57 سم. عرض: 18 سم. ارتفاع: 09 سم.
- الجزء البارز الذي يلي الكوابيل: طول: 2.70 م. عرض: 2.30 م. ارتفاع: 10 سم.

■ الوصف:

ما يميز دكة سيدي الكتاني أنها تتصل بباقي درابزين السدة التي تعلو بيت الصلاة وهي تقوم على أعمدة رخامية بتيجان على هيئة سلة زينت بأشكال بيضية، لها درابزين يتكون من أزواج من القوائم وتتوسطه حنية مضلعة، كما زينت أرضيته من أسفل في الجهة التي تقابل الأرض بزخارف

خشبية ملونة بمختلف الألوان قوامها العديد من أنواع الأزهار والورود، حتى يبدو وكأنه جزء من سقف خشبي (صورة 3).



صورة 3 / دكة المبلغ بجامع سيدي الكتاني

4.2. دكة المبلغ بجامع الباشا بمدينة وهران. (1792 م).

■ المقاسات:

- طول: 3.20 م. عرض: 03 م.
- الدرايزين: ارتفاع: 62 سم. سمك: 07.5 سم و 04 سم.
- الأعمدة:
- القاعدة المثلثة: ارتفاع: 08 سم. طول الضلع: 11 سم و 10 سم و 09 سم.
- البدن: ارتفاع: 2.44 م. قطر: 19 سم و 16 سم. طول الضلع: 08 سم.
- التاج: ارتفاع: 30 سم. قطر: 18 سم.
- الكابولي: طول: 3.20 م. عرض: 03 م. بروز: 32 سم. ارتفاع: 25 سم.

■ الوصف:

توجد هذه الدكة بوسط بيت الصلاة أسفل القبة المركزية على غرار جامع صفر والجامع الجديد، تحملها أربعة أعمدة رخامية بقواعد مضلعة وبدنها مقسم إلى جزأين الأسفل ثماني الأضلاع والأعلى على شكل ملفوف، أما التاج فهو من النوع الكورنثي ومزين بورقة الأكنثا، ويتوسطه هلال. والدكة مربعة الشكل ويصعد إليها عن طريق سلم خشبي، ويحيط بها درابزين خشبي بقوائم تفصل بينها أشكال عقود صغيرة ويحمل هذا الدرايزين مجموعة من الكوابيل الصغيرة الحجم والبسيطة (صورة 4).



صورة 4 / دكة المبلغ بجامع الباشا

3. الدراسة التحليلية.

إن الدارس لعنصر الدكات بالمباني الدينية، سيلاحظ أن هناك ثلاثة عناصر تشترك فيها هذه الدكات، رغم اختلافها من دكة لأخرى، وهذه العناصر تعتبر الأساسية في أي دكة بأي مبنى، ويمكن حصرها فيما يلي:

■ الأعمدة. رفعت الدكات على ثلاثة أنواع من الأعمدة.

– النموذج الأول: خشبي أملس البدن وتواجه بحلزونيات بارزة في الأركان الأربعة وهو النوع الذي استعمل بالدكة الخشبية بجامع صفر.

– النموذج الثاني: الأعمدة الرخامية المركبة، ونقصد بذلك الأعمدة التي تحتوي على بدن نصفه السفلي مضلع مثنى والنصف العلوي منه ملفوف، وتيجانها على شكل أوراق نباتية، واستعمل هذا النوع من الأعمدة بدكتي الجامع الجديد وجامع الباشا.

– النموذج الثاني: هو رخامي أيضا ولكن بدنه أسطواني أملس، وتواجه على هيئة السلة المزينة بوريدة في وسط كل ضلع، واستعمل في دكة جامع سيدي الكتاني.

■ الكوابيل.

الكابولي هو ذلك المسند الذي يحمل الشرفة أو الدرابزين وأشهر أنواعه ذات اللفائف، واستعملت الكوابيل الصغيرة الحجم على هيئة صفوف على طول امتداد الأضلاع الأربعة للدكة وذلك لحمل الدرابزين، واستعملت الكوابيل بثلاث دكات فقط، وهي دكات كل من جامع صفر والجامع الجديد وجامع الباشا، وهي متشابهة فيما بينها من حيث الحجم والشكل.

■ الدرابزينات.

تميز درابزين دكة جامع صفر بارتفاعه ودقة قوائمه الفردية، ونفس الشيء بالنسبة لدكة الجامع الجديد، حيث يتكون أيضا من قوائم فردية تحصر فيما بينها عقودا صغيرة، أما درابزين دكة جامع الباشا فيتميز بشدة تقارب القوائم من بعضها البعض، أما قوائم درابزين دكة جامع سيدي الكتاني بكونها مزدوجة، إذ نجد بين كل قائمتين عقدا يتوسطهما.